

الأطفال نعمة



السنة
و محمد بن خنيد خنيد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي زين الحياة بالأولاد، وأقر العيون بالذرية والأحفاد، وجعلهم للدنيا والأخرى خير زاد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد في السماوات والأرض وله الملك في الأولى ويوم التناد، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله المبعوث بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا ورحمة للعباد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم المحشر والمعاد، أما بعد؛

فمع نعمة من نعم الله العظيمة، وهبة من هبات المولى الجليلة، نعمة تزين بها الدنيا وتعظم بها الأجور في الأخرى، أنس وزينة ومحبة تملأ البيوت، وسرور وبهجة ومتعة تقر العيون إنها نعمة الذرية، وغاية الحياة الأسرية، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوْلَادَكُمْ هِبَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ، يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً، وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ»^[١]، وعن عقبه بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تكرهوا البنات، فإنهنّ المؤمنات الغاليات»^[٢]، فلا أعز على الإنسان من ولده ولا أحب إليه من ثمرة قلبه ولا أغلى عنده من ضحكات طفله، والمرء مفتون بابنه ومفتطور

[١] رواه الحاكم (٣١٢٣).

[٢] رواه أحمد (١٧٤١١).

على حبه ورعاية مصالحه.

والذرية بصلاحها وطيبها وقررة الأعين بها، ولذلك من دعاء المرسلين والصالحين: ﴿ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ ﴾ [الصفات: ١٠٠] ﴿ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ [آل عمران: ٣٨] ﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [الفرقان: ٧٤]، فليس كل ذرية نافعة: فمن الأولاد من يكون وبالا على والديه، ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ ﴾ [التغابن: ١٤]، فمن لم يكن طيبا كان عدوا وبالا على أهله: ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ [الكهف: ٨٠].

ولذلك عظمت المسؤولية في التربية لا سيما في زماننا حيث الفتن في كل ناحية متلاطمة، والشبهات فاشية متراكمة، والشهوات أودية جارفة وإن الله سائل كل راع ما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيعه حتى يسأل الرجل عن أهل بيته، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، وغاية التربية ما قاله ربنا: ﴿ قُورًا أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحریم: ٦]، تربية تقي من النار، وتحفظ من الشرور في دار الأخطار، وقد جاء ديننا في هذا بهدي قويم شامل، وطريق بين واضح كامل، لا يكفي لبيان عشر معشاره هذا المقام ولكن إشارة من العبارة تبل ظمأ من أراد الله له السعادة.

ألا وإن من أهم أسباب الصلاح وعلامات حسن التربية، ودلائل طيب نبات الذرية: غرس الإيمان في النفوس وملئ القلوب بمعانيه، كما قال نبينا **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لابن عباس وكان غلاما خلفه على حمار: **«يَا غُلامُ، إِنِّي أَعَلَّمْتُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَحِذُهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»**^[٣]، وأعظم عون على ذلك: **«وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ»** [البقرة: ٤٥] **«وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرَ عَلَيْهَا»** [طه: ١٣٢]، ثم تعليقهم بالقدوات الصالحة، وقد كان السلف الصالح **رَحِمَهُمُ اللَّهُ** يعلمون أولادهم السيرة النبوية العطرة وفضائل الصحب البررة كما يعلمونهم السورة من القرآن، وكانوا إذا نشأ لأحدهم ولد شغلوه بحفظ القرآن وسماع الحديث، فثبت الإيمان في قلبه وكان العلماء يقولون لا تزال الأمة هذه بخير ما تعلم ولدانها القرآن .

وإذا أردتم الوقوف على معالم هذا الباب، فتأملوا حكم لقمان ووعظه لولده بالوصايا العظام:

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ وَيَبُنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾^[١٣] [لقمان: ١٣] هذه **الوصية الأولى**: القيام بحق الله تحقيق التوحيد، والحذر من الشرك، فالمربي الحكيم يبدأ بهذا

[٣] رواه الترمذي (٢٥١٦).

ويغرسه في قلوب أولاده، وإذا انخرط عقد التوحيد من القلب
إنفرض عقد التربية، فالإيمان أساس الخير.

والوصية الثانية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا
عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾
وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا
وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ
مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان: ١٤ - ١٥] الوصية
بالوالدين عنوان التوفيق وباب السعادة الأعظم.

والوصية الثالثة: ﴿يَبْنِيٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ
فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنْ اللَّهُ
لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان: ١٦] مراقبة الله وترك معصيته، فالله يراك فلا
تجعله أهون الناظرين إليك، والمراقبة تثمر خلق الحياء الذي قيل
فيه: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عييه، وكانوا يقولون ومتى كان
الصبي حيا رجي خيره.

والوصية الرابعة: ﴿يَبْنِيٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان:
١٧] هذا قيام بطاعة الله، وفيه إصلاح للنفس وإصلاح للغير.

والوصية الخامسة: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي

الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ
وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾
[لُثْمَان: ١٨ - ١٩] قيام بحقوق الناس في تواضع تام وأخلاق حسنة.

وهذه إشارات ودلالات من هذه الآيات، والمقام لبسطها لا يسع
فمن أراد نفع الذرية فليحسن التربية وتأملوا: ﴿رَبِّ أَرْحَمَهُمَا كَمَا
رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٤] لما ربياه وأحسننا تربيته صغيرا توجه
إلى ربه داعيا لهما كبيرا.

فاعرفوا دينكم، وتعلموا هدي نبيكم، وأحسنوا التربية، ولينوا
في المعاملة وتقربوا بالمحبة وتعاهدوا بالنصيحة، واغرسوا القيم
وتوددوا بالإحسان، واستعينوا بالدعاء، فدعاء الوالد لولده تفتح له
أبواب السماء، وهو سياج التربية وسنة الرسل الماضية.

فأسأل الله تعالى أن يحفظنا وذرياتنا، وأن يقر أعيننا بصلاحهم،
وأن يجعلنا ممن آتاه في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقاه عذاب
النار.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

